بين الخوف والجسارة بطولة عظيمة

بين أحضان جبال عفرين، في إحدى قراها الخضراء ولد هذا الشبل.

ولد في وقت كان الجو فيه معتدلا والسماء صافية، في قرية تعلمت الكدح وترعرعت عليه، وفي احضان عائلة كانت تعتمد في حياتها على الزراعة وتربية المواشي، مرتبطة بالتراب كارتباط الأم بأبنائها. ولد رفيقنا دجوار ضمن عائلة فقيرة تسعى لتوفير لقمة العيش لأولادها وتأمين الراحة لهم بشق الأنفس في خضم مشقات الحياة ومغباتها. فتح عينيه بين هذه العائلة الوطنية طفلا هادئاً ذكياً محباً لمن حوله ومحبوباً ممن حوله ضمن العائلة والمحيط، طموحاً وذا آمال كبيرة وأحلام لا تعرف الحدود. دائم التفكر بما يدور ويجري حوله، يراقب عن بعد ما يحدث في الوسط، دائم التساؤلات عن كل شاردة وواردة تخطر على باله. لم يرضَ بوضع العائلة وفقرها المدقع، فترك دراسته إثر ذاك الوضع المؤلم الذي تعاني منه أسرته، فتعلم الكدح والجد منذ نعومة أظافره, وأخذ يعتمد على نفسه في كل شيء ويرى نفسه مسؤولاً أمام كل مشاكل العائلة ويسعى إلى حلها حسب طاقاته ومعرفته.

رغم صغر سنه الا ان الحياة علمته أنه قد لا يكون بمقدور الإنسان عيش طفولته كما يحلم بها، او كما يتطلع اليها. فنضج في افكاره مبكرا، واحس بروح المسؤولية التي تزداد عن طاقته مبكرا، مما جعله ذا شخصية تتحمل أعباء العائلة وتعطي المعنى لتلك الهموم المتراكمة والمتكاثرة على كاهل الابوين.

من طرف اخر لم تكن لديه الجسارة بان يكون لوحده، بل كان يخاف من أي شيء بسيط، يخاف الظلام، ويهاب الوحدة. لكن لم يكن يُظهر خصاله هذه أمام المحيط، لأنه كان معتدا بنفسه، مغرورا بها بعض الشيء.

لم يكن يُنظر إليه بأنه طفل صغير، إنما رآه الجميع وكأنه كبير البيت ومعيل العائلة.

وعندما أصبح في سن الشباب ونما عقله أكثر فأكثر، توسعت علاقاته الاجتماعية بين رفاقه الذين في سنه والذين يكبرونه سناً، وكان الكبار دائما يرددون له: (نضوج الانسان ليس بالعمر، إنما بالعقل)، خاصة وأنه كان يتعاطى حل المسائل بعقلانية ونباهة.

بعد الخامسة عشر من عمره فكر بالابتعاد عن قريته ليبحث لنفسه عن مهنة أو حرفة يمتهن بها. ذهب حتى يقطن في قرية (قسطل) حتى يعمل هناك "حداداً". وهناك قضى معظم أوقاته في بيت جدته، التي كانت ترعاه وتساعده.

من أهم الأسباب التي دفعته لترك قريته هي طموحه نحو الأفضل وسعيه الدؤوب إلى الأجمل، سواء بالنسبة لحياة العائلة أو لنفسه.

في تلك الأثناء تعرف على رفاق الحزب، وأراد أن يتعرف ويتعمق على أكثر، فأبدى رغبته في الانضمام إلى فرقة الفن والثقافة (كوما فلكلوري)، خاصة أنه كان صوته جميلا كصوت البلبل. ولبى الحزب طلبه، فشارك في الكثير من المناسبات الوطنية والحفلات.

كان في ذلك الوقت في عنفوده السابع عشر، وبسبب ارتباطه بالرفيق بوطان (شوقي) الذي كان يتعامل معه ويشاطره آماله وأحلامه، وكان متعلقا به كثيرا ويراه أعز على قلبه من أي أخ أو صديق؛ فقد ازداد ارتباطه بهذا الفكر وهذه الأيديولوجية بمجرد سماعه نبأ استشهاد صديقه بوطان. وقرر ترجمة ارتباطه هذا إلى أرض الواقع، فقرر حسم الأمر بالسير على درب رفيقه الشهيد. وبعد قضاء أربع سنوات بين أعضاء الفرقة الفنية أعطى قراره النهائي بالانضمام إلى الفعاليات بحماس كبير واندفاع لا يوصف.

وفي عام 1993 حصل الذهاب إلى معسكر (أتروش) للنازحين الكرد الذين كانوا قد هُجِّروا من قراهم بالإرغام من قبل القوات التركية المسلحة. لم يكتفِ الرفيق دجوار بأن يحارب بصوته الشجي، إنما أقبل على زرع هذا الفكر ضمن الشعب الذي هاجر من شمال وطنه حتى يكون نازحاً في جنوبه...

وبسبب نشوب الحرب مع قوات بشمركة الحزب الديمقراطي الكردستاني KDP في تلك المنطقة عام 1995، دخل هذا الرفيق أجواء الحرب مبكراً وقبل أن يقوى عوده فيها. لم تترك له هذه الحرب الفرصة لتعزيز قواه، ولم يسمح له الوقت بالبقاء أكثر بين صفوف رفاقه الذين كان التحق بهم حديثا، فاستشهد هذا الرفيق على يد الخونة، وهو في ربيع شبابه، بعد أن اختار طريقه وشق دربه بإرادته وحريته، التي لطالما تعلمها منذ صغره ونعومة أظافره. تقرب ببطولة من المسألة حتى آخر أنفاسه وآخر قطرة في شريانه، وكافح دون كلل أو ملل.

كان لا يعرف ما التعب أو الإرهاق. لطالما كان يقطع المسافات الطويلة إلى مكان عمله غير مبالٍ ببرد الشتاء أو حر الصيف. فقد كان تعلم معنى الصبر والإرادة خلال مسيرته الشاقة. كان يقظاً في أحاسيسه، ديناميكيا في حركاته، بشوش الوجه ومرح الروح رغم كل المصاعب التي كانت تواجهه في حياته.

حتى عندما وضع رأسه وخلد لنومه الأخير لم تكن البشاشة تفارقه... هل هذه هي العظمة ذاتها...؟! أم هي البطولة والروح الآبوجية...؟! أم أنها الروح الوطنية الأصيلة فيه، والتي كانت ممزوجة بحليب أمه..!؟

انضم هذا الرفيق إلى قافلة الشهداء في ربيع 1995 في معسكر أتروش بعد مقاومة عظيمة وإرادة قوية حتى يستطيع أن يكون لائقاً لهذا الشعب القاطن في ذلك المعسكر ولشعب وطنه أجمع.

بدمه تفتحت زهرة أخرى على تراب الوطن وزاده طهارة، فكل الإجلال والإكبار لأرواح الشهداء الطاهرة.

صادر في ملف الشهداء " شيلان" العدد الثاني ايار 2006